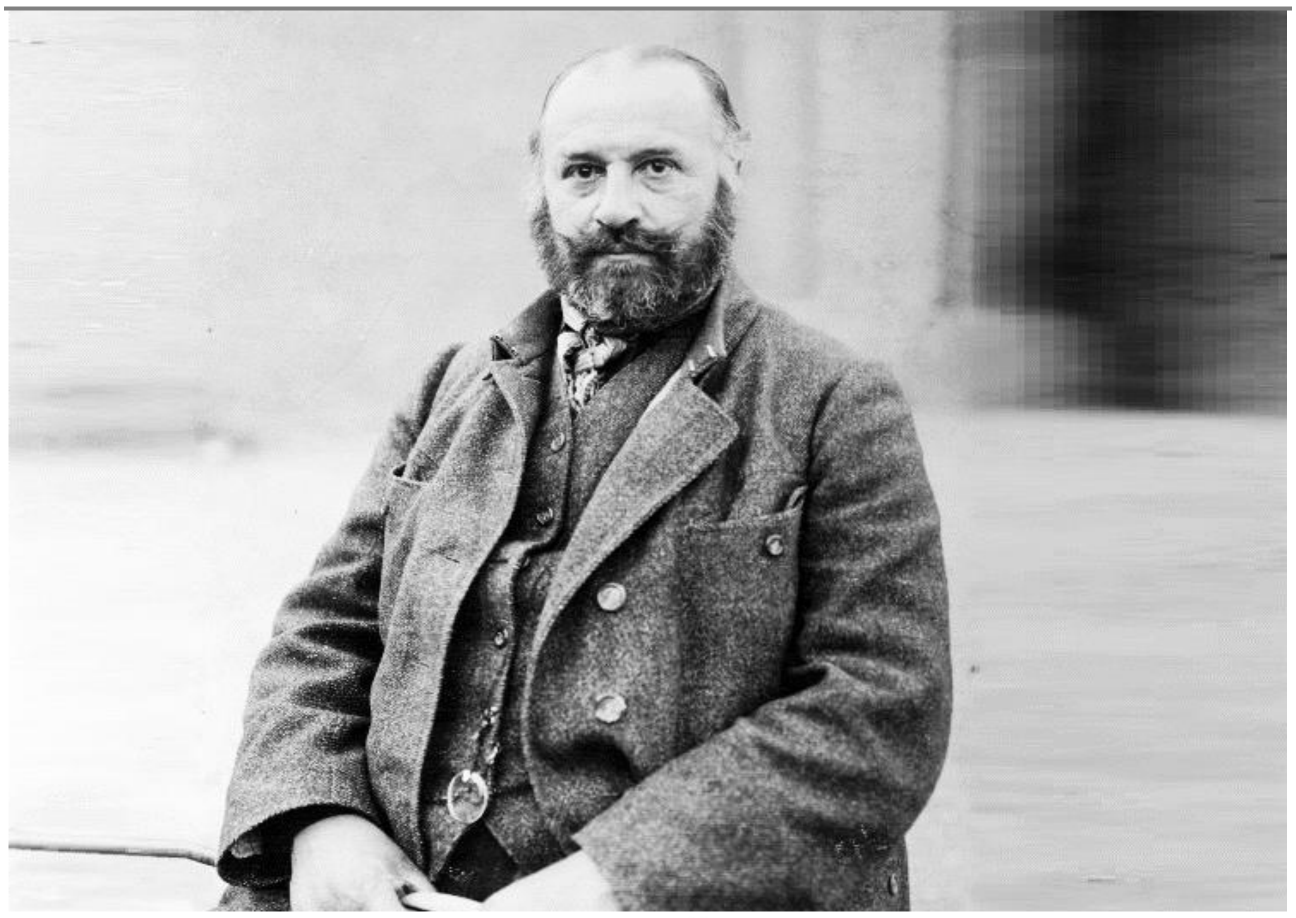
- رئيس التحرير
- أسامة بن سليمان الفليّج

البردويل

June /2024 / issue: 0

سيرة أولى.. لـ جاسوس السلطان



ماكس اوبنهايم المستشرق الألماني الأخطر الذي جاب العواصم واخترق الآفاق واخترق المجتمعات الشرقية والمستعمرات الإنجليزية إبان الثمانينيات من القرن التاسع عشر، حيث كانتا أوائل رحلاته إلى "إيطاليا واليونان وآسيا الصغرى" وهو شابا لم يتجاوز العشرين من عمره، حيث عشق الترحال والمغامرة مبكرا لاكتشاف العالم الأخر.

***

بدأت ألمانيا مرحلة جديدة وسياسة مختلفة باتجاه الشرق عام 1884 م لـــ منافسة بريطانيا فرنسا، حيث شرعت الحكومة الألمانية بـــ تأسيس "الجمعية الاستعمارية " المختصة في دراسة أحوال العالم الشرقي وإقامة الأعمال التجارية في مصر و سوريا والمغرب حيث أرسلت الجمعية أبرز مبتعثيها "ماكس أوبنهايم "إلى المغرب للاستكشاف والاطلاع ودراسة أحوال المغرب آنذاك

كتب أوبنهايم حول هذه الرحلة الكثير من التقارير الاستخباراتية والمقالات حسب الطابع الذاتي والتي نشر منها في الصحف والمجلات العربية والألمانية وبعد انتهاء اوبنهايم من هذه المهمة أرسل مرة أخرى من قبل السلطة الألمانية إلى مصر لإنجاز (مهمة غامضة) تحت غطاءات استثمارية لدراسة تكاليف مشروع سكة الأناضول الحديدية والتي تعرف بـ سكة بغداد- برلين .

إذ كانت مصر حلم غالب هؤلاء الغربيين... إلا ان أوبنهايم وصل إلى مصر في أواخر التسعينات من القرن التاسع عشر وأنجز تلك المهمة ، حيث اتسعت الأفكار والمشاريع والطموحات الألمانية أكثر فأكثر بحثا عن شراء أكبر مساحات ممكنة من الأراضي الزراعية والتجارية في المنطقة لمنافسة بريطانيا وفرنسا حيث اهتم الألمان في شراء المزارع الافريقية والهندية التي ينتج عنها محاصيل (البن والمطاط) وما شابه لذلك

حيث أشرف أوبنهايم على هذه المشاريع والمهام وشرع برحلة برية طويلة باتجاه البحر الأبيض المتوسط وبحر الخليج العربي إلى أن وصلت بعثته إلى الهند وأفريقيا حيث اشترى مساحات شاسعة من الأراضي لهدف إنشاء تلك المزارع الكبرى التي تنتج البن والمطاط وتصديرها إلى أوروبا وأثناء اقامته في افريقيا شرع في رحله أخرى عبر صحراء" تشاد الكبرى" بحثا عن البحيرات العذبة وكتب تفاصيل تلك الرحلة وكاد ذات مرة أن يقتل بسبب غارة بدوية على قافلته فنجا منها بأعجوبة، وبعدما أتم هذه الرحلة أنجز أهم أعماله كتاب "من البحر الأبيض المتوسط إلى الخليج العربي"

وبعد تلك الرحلات الشاقة أرتحل أوبنهايم مجددا إلى إسطنبول "عاصمة الدولة العثمانية" حيث كان لدي أوبنهايم لقاءً خاصا مع السلطان عبد الحميد الثاني لمناقشة مشروع **"الوحدة الإسلامية"** ضد الاستعمار والتغريب والذي كان يشرف عليه السلطان عبدالحميد والذي كلف أبرز اعضائه كجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، حيث شكل هؤلاء الاعضاء تأثيرا واسعاً من خلال المنابر والصحف والأوساط الثقافية والسياسية على الرغم ان السلطان عبد الحميد كان منهكا بعد الحروب والخسائر وفقد الأراضي الكبرى إبان الحرب الاستنزافية في البلقان وهذا ما شكل للسلطان صدمة كبرى وانتكاسات وعلل صحية وتعاطفا مع ذلك أعلن القيصر الألماني فيلهلم الثاني الدعم الكامل لعبد الحميد لأنفاذه وأنفاذ السلطة العثمانية. أي والذي أطلق عليها بالسلطة المريضة من الانهيارات الاقتصادية والثورات الشعبية.

حيث تم تعيين أوبنهايم بعد هذا اللقاء السري محلقا ثقافيا ألمانيا في القاهرة بصفة غير رسمية. وكان لـ أوبنهايم انشطه مستقلة وله أيضًا شبكة واسعة من العلاقات مع التجار والأعيان والباشوات والطبقات العليا وهذا ما اغضب الإنجليز الذين رصدوا عددا ضخما من التقارير الاستخباراتية التي ترسل عبر التلغرافات المصرية من القاهرة إلى برلين وكانت تلك التقارير زاخرة بالمعلومات الهامة و هذا ما تسبب بإرباك الإنجليز والفرنسيين وكانوا قلقين جداً من تواجده في مصر إلا ان .شنت الصحافة الإنجليزية حملة شعواء ضد أوبنهايم وكانوا ينعتونه بـــ جاسوس القيصر الخطير فحينما تصاعدت التوترات عبر الصحف بين بريطانيا وألمانيا اتهمته الإنجليز اتهاما خطيرا بالتآمر على الأوربيين التواجدين في الأقطار العربية .. وأن ذلك الألماني داعماً لـــ الجهاديين الإسلاميين ومتعطش لسفك دم أي اوروبي في مصر أو أي قطر من الأقطار العربية ... أمضى أوبنهايم أعواما عديدة في مصر فكان مريكا خطيراً إلا أن غادرها بعد أمرا من السلطات الألمانية الى سوريا تخفيفا من وطأة الصدام عام 1899م - يتبع لاحقا-

افتتاحية البردويل

بسم الله نبدأ وعلى الله نتوكل ...

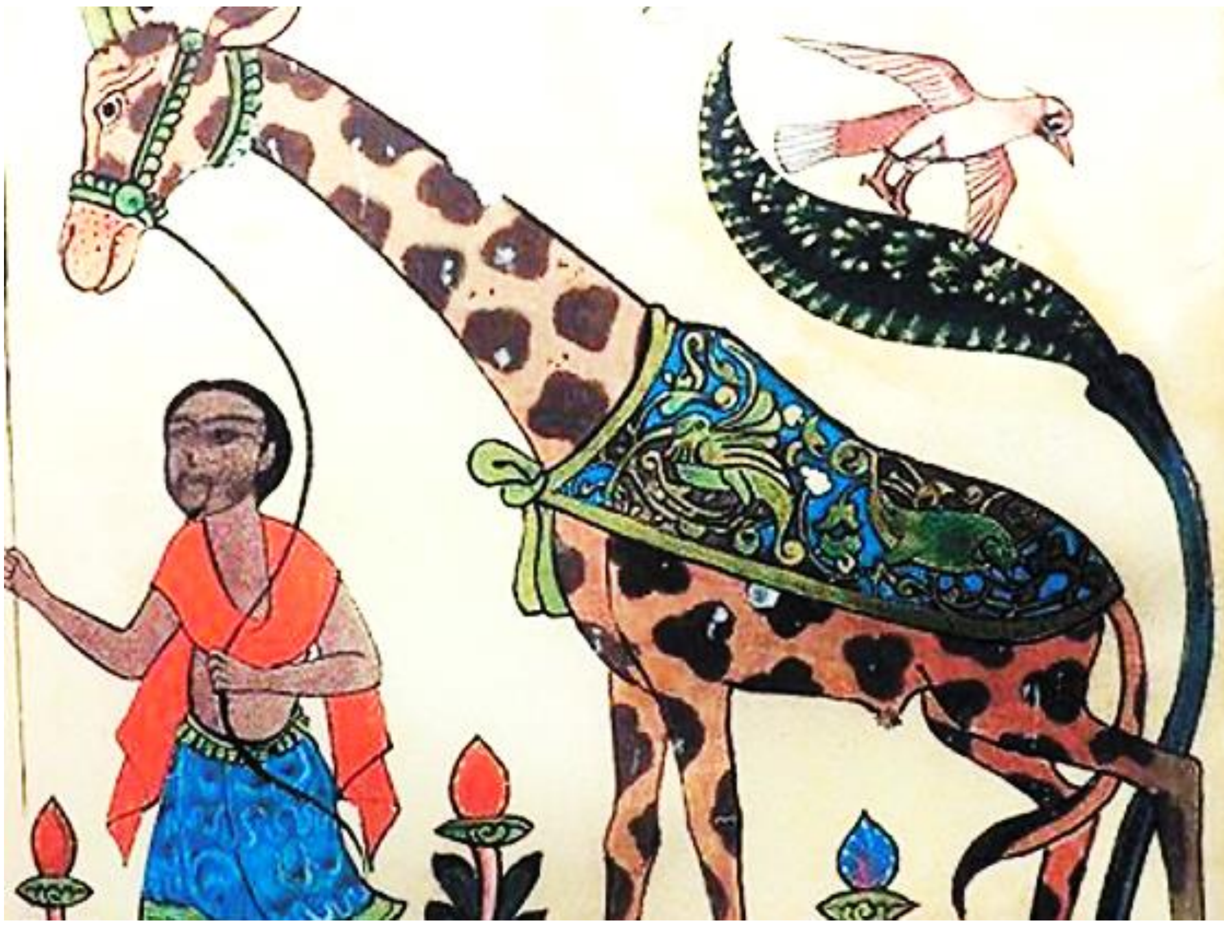
تطل عليكم جريدة (**البردويل**).. الشهرية في أوائل أعدادها المباركة.. كـ عدد افتتاحي (صفر) ،حيث تهتم البردويل بنشر كل ما يتعلق في المواضيع التاريخية والتراثية التي تتناسب مع هذا العصر حيث سنتأول أيضًا من خلالها العديد من المواضيع التي تتعلق بـ أدبيات الرحالة و المستشرقين الذين زاروا المملكة العربية السعودية والخليج وبلاد الشام ومصر والعراق محاولة لتصحيح الكثير من المغالطات التي أوقعت بهؤلاء المستشرقين وأصبحت كمراجع ومصادر مستنسخه دون عرضة للنقد رغم حجم التناقضات الغربية التي تتنافى مع واقع تلك المجتمعات العربية . وكذلك من اهتمامات البردويل المواضيع الفريدة والاساطير الفلكلورية الشعبية اللطيفة دون الإساءة أو التقليل من أي اسطورة شعبية لطيفة .

لاسيما اننا سنحاول أن نقدم ما يليق بنا وبكم عبر (البردويل) وأن نواكب تلك الطفرات التكنلوجية وسرعة التطورات الإعلامية بعيداً عن منصات الثرثرة "البودكاستية" التي شوهت "الرسالة الإعلامية النبيلة " فأهلاً وسهلاً بكم عبر البردويل.

... فـ البردويل أرض منخفضة تقع شرق بلدة طريف ، شرق شمال أمّ أو عال في شمال **المملكة العربية السعودية.**

- التحرير -

الرسومات ما قبل الصورة الفوتوغرافية



لم تكن عملية التصوير علمية حديثة لدى الانسان بل منذ ان خلق الانسان وهو يتصوّر الأشياء في ذهنه وفي مخيلته الصورية، لذا نجد الكثير من هذه الصوّر تحولت فيما بعد الى رسومات ونقوشاً وأماني.. أوضعها الإنسان الأول على هوامش الظواهر الطبيعية، نوعاً من استبداد للمخيّلة سواءً على الجبال أو الكهوف أو المعابد أو الصخور وغيرها من الظواهر الطبيعية.

لذا نجد ان الكثير من هذه الصوّر والنقوش والمنحوتات المبهمة والغير مفهومة والتي لا يستطيع بالغالب انسان هذا العصر بفك رمزيتها

وهي أيضاً لا تختلف عن حالة المبالغة الصورية في بعض الاساطير والقصائد العربية في تراثنا العربي حسب ماورد في بعض المبالغات في الأشعار و القصائد الذي نظموها الشعراء الجاهليون ،إذ يستمدون بالصورة الشعرية ويبالغون بالوصف سواءً لـ المعشوقة أو الناقة أو الفرس أو الحصان أو بعض الكوائن الأسطورية المتخيّلة.

ربما يتساءل إنسان هذا العصر:" بكفية الاجتراء والمبالغة بالصورة " لشاعراً تمادى بالوصف الغير معقول والمستمد أصلاً من الخيال في بعض الأحيان، فهي أيضاً لا تختلف عن تلك الحالة الأولى .الى أن ظهر **الإسلام العظيم** الذي أكرمنا الله به ،وحدّ من هذه المبالغات .

ويبدو ان في العهد الأموي ازدهرت الفنون و الرسومات تأثراً بالأمم الأخرى المجاورة لها ، نجد الكثير من الرسومات والزخارف "المحكمة" والمختلفة عن الرسومات البدائية التي شاعت في تلك الحقبة الزمنية على الظواهر الطبيعية ، لذا نجد (قصر عمرّة) المزين بالعديد من الرسومات التي اكتشفت في أوائل القرن العشرين، وهذا أيضًا لا يقل عن الفنون التي ازدهرت أيضا في العهد العباسي وظهر منها الكثير في طيات المخطوطات العباسية التي يُحفظ جزءً منها بـ (الاراشيف) العالمية ، وأعتقد أن الغرب استوحوا من هذه المخطوطات المزينة الكثير من الأفكار وعملوا عليها "أفلاما فانتازيا." وإضافة الى ذلك الكم والمخزون الهائل من المخطوطات المملوكية التي تحمل أيضًا في طياتها الكثير والكثير من الرسومات والاطروحات الحربية والفنية والجغرافية وغيرها.

والتي نهب الجزء الأكبر منها من مصر في حقب تاريخية متفاوتة ،فكل هذا الارث الكبير ذهب كضحية الكوارث ، لم ينسخ منها الى القليل و مازال الجزء الأكبر حبيسًا للأدراج سواء في فرنسا أو بريطانيا أو روسيا أو غيرها من الدول الغربية.

***

أهتم المستشرقون بعد أولى الحملات الصليبية بمحاولة تشويه صورة الإنسان العربي فحسب المنظور العقائدي السائد لدي الغربيين في تلك الحقبة وهذا ما يتضح بالعديد من الرسومات واللوحات التحريضية التي انتشرت في أوروبا في تلك الفترة السحيقة ، بتكريس هذه الصورة النمطية السلبية التي تنتقص من الإنسان العربي بتصورات واهتمامات سخيفة جداً وغير مقنعة .

لذا فتحت هذه الرسومات آفاقا أخرى وتساؤلات عدة لدي الكثير من النخب الغربية المثقفة في تلك الفترة، وشرّع العديد من هؤلاء النخب بزيارات مختلفة الى البلدان العربية سواءً الى: الجزيرة العربية أو البلدان العربية الأخرى كمصر والشام والعراق وغيرها ، ولكن فعلياً لم تتجاوز الرحلات البحار والشواطئ والموانئ العربية ، بالرغم من أن الفرنسيين تسيّدوا المسارات التجارية البحرية منذ القرن الخامس عشر الميلادي من خلال احدى المنحة السلطانية العثمانية المجانية. وكانت أوائل هذه المنح في عهد السلطان سليمان القانوني، أي في عام 1545م وامتدت لقرونا تضامناً مع فرنسا بحسب ما ورد في سجلات الوثائق و الرسائل المتبادلة ما بين ملك فرنسا والسلطان العثماني.وأوفد الى المنطقة في تلك الفترة أهم المستشرقين الذي خاضوا غمار الترحال في أصقاع المعمورة،.

***

تزامناً مع الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م أصبح هناك انتشار أوسع للرحالة والمستشرقين الذين قدموا من أقطار مختلفة، ربما ان هذه الحملة فتحت للكثير من هؤلاء المستشرقين آفاق واسعة وطرق مختلفة تسهل عليهم تنقلاتهم وارتحالاتهم الطويلة ،حيث أصبحوا يتجولون ويتنزهون ما بين الهند والخليج العربي وبلدان الهلال الخصيب وفارس بين الحين والآخر ومن هذه الانطلاقة تكون هذا النسيج الغربي الرحلي اللطيف معلناً هجرات الكثير من المثقفين الغربيين والأدباء والعلماء والرسامين، لاكتشاف هذه الشعوب والمجتمعات المغلقة بحسب تعبيرها، والتي تعرفوا عليها من خلال أساطير ألف ليلة وليلة معتقدين سذجاً أن يجدوا علاء الدين وشهرزاد والأمير زين الأصنام فكان غالب هؤلاء المستشرقين متمركزين تمركزاً كلي في مياه الخليج والبحر الأحمر وبعض بلدان العراق والشام. حيث نجد في أدبيات هؤلاء المستشرقين الكثير من الرسومات أمثال : "جاكسون " والذي وصف المنطقة وصفاً دقيقا وكذلك مسارات رحلته وتنقلاته ما بين البصرة وبغداد والموصل حيث يصف لنا الطرق والمسارات التجارية وصفا دقيقاً وكذلك "ديفيد سيتون " الذي تغلغل في عمق الموانئ التجارية على ضفاف الخليج العربي ووصف تفاصيل المدن الخليجية وشعوبها كمسقط والبحرين والبصرة في صورة دقيقة ورسم العديد من الخرائط والموانئ وغيرها وإضافة الى ذلك الرحالة الاسباني دومينغو فرانثيسكو 1803م في بلاد الشام والجزيرة العربية حيث قدم إلى مكة المكرمة مع قوافل الحجاج متنكراً لأداء فريضة الحج وأمضى وقتاً في مكة ووصفها وصفاً دقيقاً وكيفية الأنظمة السعودية التي تدار في مكة في تيسير شؤون الحجاج إلا أن ادعى ادعاءً غريباً في احدى المجالس العلمية في دمشق :أن الجامع الأموي منحرف عن القبلة ويحتاج الى اعادة بناء" بحسب القياسات التي أجراها على المساحة الجغرافية للجامع واغتيل على اثر هذا الادعاء الغريب رغم أنه كان مسيحي الى آخر لحظة مدعي الإسلام ،ودفن على طريق الحج الشامي بعدما نهبوا بعض الجنود المغاربة كل مقتنياته.

وكذلك الرحالة الفرنسي "لوي جاك رسّو" 1808م الذي يتجول ما بين حلب والموصل وبغداد والبحرين وعمان بحثاً عن التحف والمخطوطات النادرة ويسمسر عليها لصالح قياصرة الروس حيث أصبح نظير خدماته الجليلة قنصلاً لفرنسا في حلب وربما هو من سهل الطريق للعديد من الرحالة بزيارة الشرق ومن بين هؤلاء الرحالة الفرنسي "فرانسوا شاتوبريان" في رحلته التبشيرية التي انطلقت من باريس إلى بيت المقدس في عام 1811م

حيث كان التواجد الاستشرافي الفرنسي متغلغلا في بلاد الشام ودليلاً على تواجد العديد من هؤلاء أمثال "بركهارت و لاسكاريس دي فنتميل الذي ربما كان من أخطر المستشرقين الذين زاروا المنطقة ويقال أنه كان مبعوثا مباشراً من قبل نابليون لإقامة على مشروعا خطيراً بـ توحيد القبائل العربية في المنطقة وتحشيدها ضد الإنجليز في الهند وفارس.

وكان تجواله بركهارت بين القبائل العربية في الشام والحجاز حيث زار بركهارت مكة راغباً بتأدية فريضة المتوجبة عليه كمسلم صادق و أمضى قرابة العام في مكة وكان يتبادل الرسائل مع المستشرقة الانجليزية "الليدي هستر ستانهوب" التي تقيم في لبنان وتدمر بالبحث كما تزعم عن الكنوز المدفونة في عسقلان واضافة الى علاقتها المشبوه المشئومة مع بركهارت و "لاسكاريس دي فنتميل" الذي يعتقد كم أسلفنا أنه من أخطر هؤلاء المستشرقين الذين زاروا المنطقة وكانت اهدافه مبهمة جداً ، ولايوجد له أي اهتماما واضح كهؤلاء المستشرقين حتى لو كان على سبيل الادعاء قلما ما يكون بين هؤلاء الرحالة مصالح مشتركة وبأهداف مختلفة قد تثير العديد من التساؤلات والاستفهامات التي تحتاج الى دراسات أكثر.

يبقى القول إذ اعتبرنا زعما أن "المرحلة الأولى "هي المرحلة الفعلية للرحلات البرية التي وصلت الى العمق، وتعتبر أيضاً الركيزة الاساسية التي فتحت آفاقا عديدة للرحالة والمستشرقين الذين قدموا لاحقاً إلى الجزيرة العربية ووصفوا المدن والقرى والبوادي وصفاً دقيقاً، وتجولوا في كل الأقطار، لذا نجد تناقضات شاسعة ما بين المرحلة الأولى والاخرى. **يتبع لاحقا**

صوت من الصحراء



صورة تعبيرية

.

مويضى البرازية صوت الصحراء

موضي البرازي .. احد أهم الأصوات الشعرية النسائية التي اشتهرت في أواسط الجزيرة العربية إبان اتساع الدولة السعودية الأولى ، حيث برزت من خلال أوائل قصائدها بعد "مناخ كير

موضي البرازي .. احد أهم الأصوات الشعرية النسائية التي اشتهرت في أواسط الجزيرة العربية إبان اتساع الدولة السعودية الأولى ، حيث برزت من خلال أوائل قصائدها بعد "مناخ كير" ذات الوقعة الكبرى التي حدثت ما بين قبيلتي عنزة ومطير، في عام 1780م ومن أشهر ما قالت في تلك الوقعة:

” اللي يتيه الليل يرجي النهار
واللي يتيه القايلة من يقديه“

و أن نسجت حول شخصيتها الكثير من الحكايات والاساطير ، إلا أنها أصبحت صوتاً شعرياً متميّزا في صحراء العرب ..أي صوت الصحراء ، وأن كان غالب قصائدها تحمّل أفكاراً وآراءً صريحة ومفعمة أحياناً بالحكمة والسخرية والاعتزاز بالذات ،وهذا ما يخالف رأي المستشرق النمساوي الويس موسيل أن " البدويات حذرات عند التعبير عما يردن" إلا أن الشاعرة مويضي هنا تعبر عما تريد بكل جرأة وقوة:

”أريد مندسٍ بوسط الجماعة
يرعى غنمهم والبهم والبعارين
واذا نزرته راح قلبه رعاعة
يقول: يا هافي الحشا ويش تبغين
وان قلت له: هات الحطب قال: طاعة
وعجل يجي بالقدر، هو والمواعين
لو اضربه مشتدّة في كراعه
ما هو بشاكيني ولا الناس دارين

وهذا ليس تقليلا من قيمة الرجل بل هي تعتبر ساخرة كالسخرية الشعراء التي يستخدمونها أحياناً "ملهاةً وتسلية" إلا أن النساء في تلك الحقب الزمنية غير قادرات على هذه الجرأة و التعبير ..كتعبير مويضي من خلال أشعارها ، وتقول كل ما تريد أن تقوله فهذه احدى:

"اقعد فبيتك جعل بيتك يهبا
لعل بيتك بين الأبيات مشلوع
عسى الصغير بيننا مايربي
عساه مايلعب علي فرخ جربوع"

ويبدو أن هذا القول لا تجرؤ عليه أي أمرأه إلا أن الشاعرة مويضي هنا تفرض رأيها بقوة، قلما ما يجد القارئ أو الباحث ان تلك الحقبة الزمنية لا يوجد أي من القصائد والآراء المشابه لقصائدها وآرائها رفضها المستمر على الرغم أن النساء البدويات في الصحراء لم يكونوا أصحاب أراء باستثناء بما يتعلق بالأعمال المنزلية

والمهام التقليدية بحسب رأي المستشرق لويل توماس الذي زار الجزيرة العربية مرافقاً للورنس العرب إبان الحرب العالمية الأولى ،حيث يصف أن النساء البدويات " يمضين معظم أوقاتهن في حلب الجمال والماعز وفي صناعة الزبد "إلا أن الشاعرة مويضي هنا تخالف هذا الرأي بشدة :

"حتيش لو حطيت فتخة وباكور
مع جوخة تكسى قطاة العبية
اقطك وسمنك كنّه الشري ممرور
لا طاب مقلوعك فعود عليه"

تتفرد الشاعرة في سلاسة الوصف وقوة المعنى والمبنى والتعبير الصادق بما يتشابه مع شخصيتها ، ألا أن هنا أيضًا تتحدى إحدى الشاعرات وتصوّر أشواقها على هيئة خيولا وفرساناً لا يهابون الموت، قائلة:

"شوقي غلب شوقك على هبة الريح
ومحصل فخر الكرم والشجاعة
ركاب شوقي كل يوم مشاويح
وإذا لفى صكوا عليه الجماعة"

أن الكثير من قصائدها لم تحفظ ولم تدون، ولم يدون عنها إلا القليل كشذرات متفرقة وقصص وحكايات شفهيّة نسجت حول شخصيتها المثيرة للجدل وحول قصائدها وقصائد أخرى نسبت إليها ، على الرغم أن الشاعرة مويضي كما يبدو انها عانت الكثير من عدمية القبول بسبب حدة آرائها إلا أن ذات مرة حُرض عليها بسبب تغنيها بإحدى قصائدها

وقيل أيضًا ان شكوها الى الإمام فيصل بن تركي.. حينما سمعوها تغني بصوت عال ، وعلى خلاف ذلك تمت معاقبتها كي تقف عن هذا الغناء قائلة :

يا سعد عينك بالطرب يا حمامه
ياللي على خضر الجرايد تغنين
عزي لعينك وان درى بك سلامه
خلاك مثلي يا الحمامه تونين
كسر عظامي كسر الله عظامه
شوفي مضارب شوحطه بالحجابين
جاني يقول مروحينه عمامه
الله يخرب ديرةِ لاصفر العين"

لاسيما أن الكثير من الحكايات مبالغ فيها كالمبالغات التي يرويها بعض" الرواة الشفهيين"حول سيّر الشعراء والفرسان.. التي لا يقبلها العقل ولا المنطق.. وأحيانا أيضاً يكون تحليل النص الشعري خاطئاً.وكهذه الحكاية أيضاً:

"يا ونتي ونة مفاريد عرنان
تاه المدور والموارد عدنه
غدا بها الشغموم عليّ ابن رمان
اللي على الصبيان يطول فنه
اختار جال الله على جال الإخوان
والرزق في يد واحدٍ ما يمنّهْ
حراً شهر مِن دار غبن وحقران
وبعض النفوس الضيم ما يقبلنه
الله يعديه أزرها عالي الشأن
عسى عجوزٍاً جابته بألف جنّه"

إلا أن الشاعرة حينما تقول " اختار جال الله على جال الإخوان" فهذه متقدمة جداً والشاعرة لم تعاصر الإخوان ..أي إخوان من طاع الله ، بل عصرها سابق لتلك الحقبة ، لاسيما أن هذه إضافات حديثة أو نقلاً لا يخلو من المبالغة ولكن يبقى القول أن الشاعرة مويضي البرازية من أبرز الشاعرات في الصحراء ، رغم أن لم يعرف عنها الكثير إلا أنها اشتهرت من خلال قصائدها التي وثقت احداثاً واضطرابات مهمة عصفت في نجد والأقاليم الأخرى كالحجاز والعراق.

ياراكباً



الله على الهوجا طويلة مناكيب   حمرا ردوم وجالس مرجحانه

مرباعها من خشم لاهه وتغريب   في سهلة متخالف ديدحانه

تقطع محاويل المقور الضنابيب   بالقيض ما تشكي الحفا سعويانه

اول نهاره مشيها هورفت ذيب   وتالي نهاره مشيها زرق زانه

بارض السعين وقاع هاك العراقيب   مصباح خمس وهي بروض الشنانه

هوجا ليا حدوا عن الما بتجنيب   تنحر لها عد خفي البيانه

وان وردوا مع ماحيات العواليب   والما بعيد وهي توالي الذنانه

تارد على الماء قبل بيض المحاقيب   مع الاوايل جيدات الامانه

ابي عليها مع عيال شراعيب   معهم صفوق الصمع كالجبخانه

تشاوحوهن واغرضوا بالمشاعيب   وشافوا جهام زارق ويضحانه

وصارن خزايزهم كبار الدباديب   تلقا بهم غير الكتايف بطانه

وعقب اخشروهم بالفذوذ العياديب   بالحشو والا فاطر عيدبانه

هذا نص قديم محتشد بالالفاظ البدويه الموغله في صحراويتها وهي قصيدة للشاعر محمد الدسم العنزي صاحب الحكم الشهيرة والنصائح المتعددة وهو من خيرة الشعراء وأكثرهم حكمه الاّ أن هذه القصيدة التي يصف فيها (الذلول) تعتبر نموذجاً حقيقياً للمفرده البدوية وللوصف البدوي أيضاً مع أن أهل البادية عادة مايبدأون قصائده بـ (البارحه) أو (نطيت رجم) أو (أيا راكباً من فوق) ثم يستهل القصيدة تماماً كما كان الشاعر العربي القديم يبدأ من الوقوف على الاطلال الامر الذي حدى بالشاعر المجدد أبي نواس بقوله منتقداً:

قُل لِمَن يَبكي عَلى رَسمٍ دَرَس   واقِفاً ما ضَرَّ لَو كانَ جَلَس

المهم أنني من خلال قراءة هذه القصيدة فأننا لانجد ضيراً من أن نفسرها للجيل الجديد الذي لم يعش تلك الأجواء التي تحدث عنها أجداده فمحد الدسم يصف الذلول بقوله هو جاء – أي من أهوج طويله المناكب أي الاكتاف وهي حمراء والشاعر جالس على كورها متأرجحاً (مرجحانه) ثم أن هذه الذلول مرباعها غرب منطقة لاهه في سهول متشابكة زهور الديدحان

وهذه الذلول تقطع محاويل المقور (وهي الجبال الصخرية التي يتجمع الماء في أعلاها في القيظ) وهي سعويانه كثيرة (السعي) أي الجري، وجريها في أوله مثل هروله الذئب (هو رفه) وفي آخره مثل حركة الرمح (الزانه) وهي تتوجه من السعين لتصبح في اليوم الخامس بأرض الشنانه ومن صفات هذه الذلول أنها إذا وجدت الماء محتلاً تعرف عدّ أي بئر آخر من تلقاء نفسها. وإذا وردت الآخرون من جبال ممحله وآبار قديمة ماحيات العواليب والماء بعيد وهي توالى الذنانه ماتبقي من الماء القليل.

وترد قبل بيض المحاقيب، قيل الهجن الآخرى (شيب المحاقيب) أو الشباب المتمنطقين بالبياض أو القطا والعيال الشراعيب – الشباب النشطين وصفوف الصمع أي محازم الفشك كالجنجانه لفظة تركية تعني الجبة الحمراء – ثم تشاوحوا هذه الهجن بالمشاعيب (العصي) ورأوى (جهام زراق ويضحانه) والجهام مجموعة الابل وهو يبدو على البعد أزرق رغم أنه أبيض، ثم تركوا من لايفكرون الاّ بالحيل أو الذهانه وصارت خزايز أولئك الشباب (الشراعيب) كبار الدباديب الابل المدلله ثم أخشروا أي قاسموا أولئك الكسالى بالفذوذ أي (مافذ) من الحشو أو الفاطر العيدبانه الكبيرة (لسن) بالطبع لم (يشدّ) الدسم وحده الذلوله فأغلب شعراء البادية يشدون الهجن ، أولاً في مطلع القصيدة (كمشد) للقصيدة أيضاً فها هو (خلف أبوزويد الشمري) وهو من خيره من وصف الهجن في الشعر النبطي يقول في إحدى قصائده:

يا راكب اللي كن مشيه يضدي   محاقبه من سوجهن للحقب بيض

تزها إلى صارت بكورة تشدي   لا مس حبله له تنهوص وتجويض

حمرا على السندا عديم تهدّي   عليه سنامٍ شاتيٍ عقب تقييظ

حمرا عثافر منوة اللي يمدي   حزوبره ، منوة مقضي الأغاريض

مهجاج عند المزهبة لو تغدي   ما تلهدك بالرغرغه والتفاضيض

وهنا نرى مفردات ابوزويد الخاصة مثل عثافر وحزوبر ومهجاع والى آخر الأمر الذي يذكرنا بقعود محدى الهبداني الذي يقول فيه :

عنسٍ سبرسٍ بالسواد الوغطسي   قطاع دوٍ هوذلي سوسحاني

هزته بعود اللوز من غير لمسي   وياما قطع من نازح السمهداني

وقد تفنن الشعراء في وصف الرحلة أو الذلول ووصفوها بالربداء النعامه أو الادمي الغزال أو القطاه أو غيرها فهذا شاعر يقول

صورة العدد



شاب من المملكة العربية السعودية - وادي ضمد 1941